

السودان يرفض ومصر
تقبل التفاوض مع إثيوبيامحمد أبو الفضل
كاتب مصري

لو قرأنا هذا العنوان منذ بضعة أشهر لشعرنا أن هناك خطأ سياسيا ارتكبه صاحبه، لكن الآن يمكن استيعابه وفهم دوافعه في ظل مجموعة من التطورات الإقليمية أفضت إلى عدم استبعاد حدوثه وربما تكراره، ما يعني أن أزمة سد النهضة سوف تواجه رباحا مختلفة عما عرفناه خلال الفترة الماضية، والتي وضعت السودان قريبا من إثيوبيا، ثم مباحدا ووسيطا، ومتحفظا، ثم رافضا لطريقتها في التعامل مع الأزمة.

يمكن التعرف على أسباب التشدد السوداني واللينة المصرية في الموقف من المفاوضات عبر جملة محددات أدت إلى تغيير في الحسابات الظاهرة، فالخرطوم التي رفضت صراحة الانخراط في محادثات السبت الماضي، برعاية الاتحاد الأفريقي، تأكدت أنها تدور في حلقات مفرغة، ومن الضروري عدم التماهي في ذلك.

استمد السودان شجاعته في الممانعة من يقينه أن سد النهضة لا يحمل خيرا له، كما جرى الترويج في البداية، بل سوف يفوق إلى تكبد أضرار جسيمة، حيث فرضت فترة الارتباك في السياسة الخارجية قدرا من التريث في التعامل مع قوى إقليمية ودولية، وتجنب اللجوء إلى الخشونة السياسية، لأن مقتضيات المرحلة الحالية وتعدديتها حتمت على السلطة القبض على العصا من منتصفها في عدد كبير من القضايا الخلافية.

ولذلك وجدت مصر أن موقف السودان الجديد يكفي في هذه المرحلة، ويؤكد أنها لم تعد المتضررة وحدها، ما يعزز رؤيتها وتحفظاتها على المنهج الذي تتبناه أديس أبابا.

قدم رفض السودان للدخول في مفاوضات بلا سقف زمني أو جدول فني، فرصة ثمينة لمصر، ووضع إثيوبيا بين خيارين غاية في الصعوبة، أحدهما قبول رؤية الخرطوم التي تنسجم مع النهج الحالية عن قصد أو دونه مع موقف القاهرة، والآخر الإصرار على مواصلة الرفض، فيضطر السودان إلى مراجعة جزء معتبر من علاقاته مع إثيوبيا في وقت حرج للثانية.

في الحالين تستفيد مصر، فتغيير الموقف يعني التسليم بالتوقيع على اتفاق ملزم لإثيوبيا يتضمن التخلفات السابقة على عملية الماء والتشغيل وحل النزاعات، وما إلى ذلك من حزمة ليست هناك دواع لسردها، أما الرفض فيعني تثبيت موقف الخرطوم بجوار القاهرة، بما يمنح متانة لخطابها أمام المجتمع الدولي.

يخدم تبادل الأدوار والمقاعد بين مصر والسودان مصالحهما معا، ويشير إلى أن الفترة المقبلة قد تشهد تناغما أكبر يتخطى سد النهضة، فكل طرف يجد في إعادة صياغة العلاقات على قواعد إستراتيجية فوائد جملة له يمكن توظيفها لصالحه، وإنهاء حقب طويلة من الخصومة المستتر، وعدم ربط التقدم والتراجع بالملف الأمني.

تستطيع كل دولة أن تقدم مزايا نوعية، إذا اقتنعتا أن التعاون يجنب كلاهما صدامات لا لزوم لها، ويبقى على السلطة الانتقالية في السودان تثبيت هذه الفكرة، لأن هناك قوى ترى أن إثيوبيا أقرب لها من مصر ولو جارت على بلدها في المياه أو الحدود.

تتطلب هذه العملية معالجة وجهدا مضنيا لتفكيك الحجج التي تستند عليها الفكرة، وتركيبها على أسس تثبت أن ثمة قواسم مشتركة مع مصر تفوق إثيوبيا التي تعاني من اختلالات هيكلية يمكن أن ترشح بروافدها القائمة على السودان.

والاقتصادي، وهو ما يفوق تلقائيا إلى ارتفاع درجة التعاون على الصعيد السياسي، وكانت نقطة الالتقاء الناصعة عند ملف سد النهضة، وكشفت لأي مدى يمكن أن يصل التنسيق بين الجانبين، فالخرطوم بدت قريبة من تبني موقف القاهرة، انطلاقا من مصالحها الحيوية وليس مجاملة للثانية.

جاءت لينة مصر على خلاف المتوقع، فإن تقبل مواصلة التفاوض في الجولة القادمة وهي التي اشتكت من العقم الذي يخيم على المحادثات منذ فترة طويلة وهددت بالانسحاب منها، فهو شيء يثير الانتباه ويتجاوز تفسيره مسألة الميول المصرية نحو الحذر والتسويات والتفاهات، ويحتاج إلى قراءة أعمق للمتغيرات الإقليمية، حيث لعبت دورا مهما في ابتعاد القاهرة عن اتخاذ موقف مماثل للخرطوم الآن.

في الوقت الذي حاول فيه السودان أن يستثمر بشكل غير مباشر في الحرب الإثيوبية، رأت مصر تحاشي العزف على هذا الوتر لقطع الطريق على خروج الاتهامات من نطاق التلميح إلى التصريحات بشأن ما يتردد في بعض وسائل الإعلام حول إمكانية استغلال ما يدور من معارك في شن عملية عسكرية لضرب سد النهضة.

إذا اتخذت القاهرة موقفا صارما من المفاوضات في هذه الأجواء ربما تجدتها الحكومة الإثيوبية التي تعاني من ورطة الحرب، فرصة لإعادة الترويج لاتهامها بأنها تريد القفز على الأحداث، وتجد فيها مشجبا تعلق عليه الإخفاقات الراهنة.

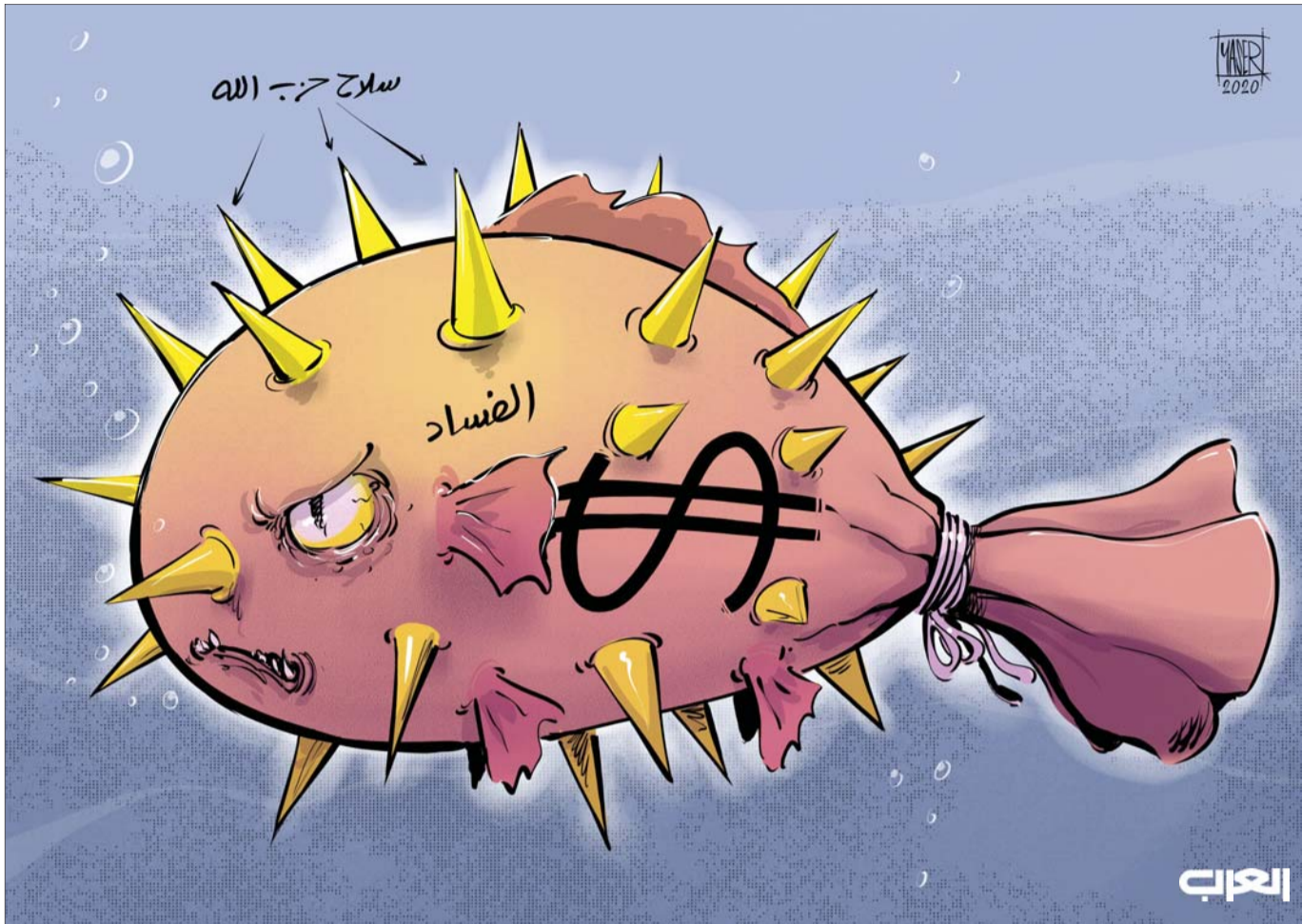
ولذلك وجدت مصر أن موقف السودان الجديد يكفي في هذه المرحلة، ويؤكد أنها لم تعد المتضررة وحدها، ما يعزز رؤيتها وتحفظاتها على المنهج الذي تتبناه أديس أبابا.

قدم رفض السودان للدخول في مفاوضات بلا سقف زمني أو جدول فني، فرصة ثمينة لمصر، ووضع إثيوبيا بين خيارين غاية في الصعوبة، أحدهما قبول رؤية الخرطوم التي تنسجم مع النهج الحالية عن قصد أو دونه مع موقف القاهرة، والآخر الإصرار على مواصلة الرفض، فيضطر السودان إلى مراجعة جزء معتبر من علاقاته مع إثيوبيا في وقت حرج للثانية.

يخدم تبادل الأدوار والمقاعد بين مصر والسودان مصالحهما معا، ويشير إلى أن الفترة المقبلة قد تشهد تناغما أكبر يتخطى سد النهضة، فكل طرف يجد في إعادة صياغة العلاقات على قواعد إستراتيجية فوائد جملة له يمكن توظيفها لصالحه، وإنهاء حقب طويلة من الخصومة المستتر، وعدم ربط التقدم والتراجع بالملف الأمني.

تستطيع كل دولة أن تقدم مزايا نوعية، إذا اقتنعتا أن التعاون يجنب كلاهما صدامات لا لزوم لها، ويبقى على السلطة الانتقالية في السودان تثبيت هذه الفكرة، لأن هناك قوى ترى أن إثيوبيا أقرب لها من مصر ولو جارت على بلدها في المياه أو الحدود.

تتطلب هذه العملية معالجة وجهدا مضنيا لتفكيك الحجج التي تستند عليها الفكرة، وتركيبها على أسس تثبت أن ثمة قواسم مشتركة مع مصر تفوق إثيوبيا التي تعاني من اختلالات هيكلية يمكن أن ترشح بروافدها القائمة على السودان.

77 سنة من الاستقلال...
لبنان في النادي الإيراني

ومطعما وملهن ليليا وشاطئا وجبلا ومكتبة وصحافة ومهرجانات سياحية. كان مكانا يحلو العيش فيه. ماذا بقي من لبنان هذا؟ لم يبق شيء. ليس في السلطة للأسف الشديد من يدرك خطورة احتجاز المصارف أموال المودعين. ليس في السلطة من يدرك ماذا يعني مرور ثلاثة أشهر ونصف شهر، وربما أكثر ولا أحد يخبر اللبنانيين ما أسباب تفجير مرقا بيروت. ليس في السلطة من يدرك المعنى الحقيقي لتفجير الميناء وابعاده ولماذا هذا الإصرار الإيراني على إلغاء دور بيروت في المنطقة وتحويل المدينة إلى مجرد مدينة إيرانية على البحر المتوسط.

يدفع اللبنانيون ثمن الوضع الذي صار فيه "حزب الله" يقتر من هو رئيس الجمهورية المسيحي. سيدفع لبنان ثمنا غاليا لتغطية سلاح "حزب الله" رسميا ولتلك التسوية الرئاسية وإقرار القانون الذي أجريت على أساسه انتخابات العام 2018. الآن بدانا نفهم لماذا كان ممنوعا على لبنان الاستفادة من مؤتمر "سيبر" الذي انعقد في باريس في نيسان - أبريل 2018 قبل شهر من الانتخابات. ما يجري حاليا برئاسة سعد الحريري ليس سوى ثمرة لتفويض "سيبر" لا أكثر.

ثمة خط بياني سار عليه العهد منذ 31 تشرين الأول - أكتوبر 2016. إنه خط واضح يقوم على تدمير ما بقي من مؤسسات الدولة اللبنانية واستكمال القطيعة مع العرب. لا وجود لأسرار في لبنان الذي دخل النادي الإيراني من بابه الواسع. في النهاية، لم يكن ممكنا مباشرة لبنان مفاوضات في شأن ترسيم الحدود مع إسرائيل لولا ضوء أخضر إيراني. لم يكن ذلك ممكنا لولا أن إيران كانت تريد تقديم أوراق اعتمادها مسبقا إلى جو بايدن وذلك قبل أن يفوز في الانتخابات الرئاسية. هل تكون إدارة بايدن عند حسن ظن

إدارة بايدن عند حسن ظن "الجمهورية الإسلامية" الساعية إلى صفقة مع "الشيطان الأكبر"، أم يتبين أن حساباتها لم تكن في مكانها؟ ذلك هو السؤال الذي سيفرض نفسه في المرحلة المقبلة التي ستكشف هل صار لبنان مستعمرة إيرانية إلى غير رجعة.

رئيس الجمهورية يتجاهل أن عهده هو «عهد حزب الله» وأن المعاملة المعمول بها هي معاملة السلاح يحمي الفساد وأن من يفض الطرف عن سلاح «حزب الله» يفض الطرف عن الفساد الحقيقي

يدفع اللبنانيون ثمن الوضع الذي صار فيه "حزب الله" يقتر من هو رئيس الجمهورية المسيحي. سيدفع لبنان ثمنا غاليا لتغطية سلاح "حزب الله" رسميا ولتلك التسوية الرئاسية وإقرار القانون الذي أجريت على أساسه انتخابات العام 2018. الآن بدانا نفهم لماذا كان ممنوعا على لبنان الاستفادة من مؤتمر "سيبر" الذي انعقد في باريس في نيسان - أبريل 2018 قبل شهر من الانتخابات. ما يجري حاليا برئاسة سعد الحريري ليس سوى ثمرة لتفويض "سيبر" لا أكثر.

ثمة خط بياني سار عليه العهد منذ 31 تشرين الأول - أكتوبر 2016. إنه خط واضح يقوم على تدمير ما بقي من مؤسسات الدولة اللبنانية واستكمال القطيعة مع العرب. لا وجود لأسرار في لبنان الذي دخل النادي الإيراني من بابه الواسع. في النهاية، لم يكن ممكنا مباشرة لبنان مفاوضات في شأن ترسيم الحدود مع إسرائيل لولا ضوء أخضر إيراني. لم يكن ذلك ممكنا لولا أن إيران كانت تريد تقديم أوراق اعتمادها مسبقا إلى جو بايدن وذلك قبل أن يفوز في الانتخابات الرئاسية. هل تكون إدارة بايدن عند حسن ظن

إدارة بايدن عند حسن ظن "الجمهورية الإسلامية" الساعية إلى صفقة مع "الشيطان الأكبر"، أم يتبين أن حساباتها لم تكن في مكانها؟ ذلك هو السؤال الذي سيفرض نفسه في المرحلة المقبلة التي ستكشف هل صار لبنان مستعمرة إيرانية إلى غير رجعة.

السنوات؟ لماذا كل هذا الهدر، بالمليارات من الدولارات، في ملف الكهرياء في عهد وزراء "التيار الوطني الحر" الذي يقف على رأسه صهر رئيس الجمهورية جبران باسيل؟ الأكد أن الإجابة عن مثل هذا النوع من الأسئلة من الأمور غير المستحبة، مثلما من غير المستحب الاعتراف بأن المسألة ليست مسألة تحقيق جنائي في مصرف لبنان فقط. يتجاهل رئيس الجمهورية أن عهده هو "عهد حزب الله" وأن المعاملة المعمول بها في هذا العهد هي معاملة السلاح يحمي الفساد. من يفض الطرف عن سلاح "حزب الله" يفض الطرف عن الفساد الحقيقي لا أكثر ولا أقل. الثابت أن مصرف لبنان يتحمل مسؤولية ما في الكارثة التي حلت بلبنان، كذلك هناك مسؤولية تقع على أصحاب المصارف، ولكن من اتبع سياسة تصب في ضرب النظام المصرفي اللبناني؟ من يتحمل المسؤولية الأكبر في ذلك كله هو "عهد حزب الله" الذي لا يؤمن بأي من الثوابت التي قام عليها لبنان منذ ما قبل الاستقلال.

يكشف موضوع الإنشاء الذي القاه رئيس الجمهورية في مناسبة الذكرى الـ 77 للاستقلال حجم الكارثة اللبنانية. لا إشارة على الإطلاق إلى شهداء "ثورة الأرز" المعروف تماما من وراء اغتيالهم، لا إشارة إلى رفيق الحريري وباسل فليحان ورفاقهما ولا إلى سمير قصير وجورج حاوي وجبران تويني ووليد عبدو وانطوان غانم وبيار أمين الجميل ووسام عيد ووسام الحسن وفرنساو الحاج... وصولا إلى محمد شطح. سقطت أسماء كل هؤلاء سهوا مع أسماء الشهداء الأحياء الثلاثة مروان حمادة ومي شدياق وإلياس المر. هناك بكل بساطة عهد يعيش في عالم آخر. لا يستطيع عهد مثل هذا العهد الاعتراف بأن لبنان انتهى على يده وليس على يد أحد آخر.

لبنان الذي انتهى هو لبنان العربي المنفتح على كل دول المنطقة. في مقدمها دول الخليج. في النهاية ما هو لبنان الذي استطاع أن يكون في مرحلة معيئة المكان المفضل عربيا؟ لبنان كان جامعة ومدرسة ومستشفى ومصرفا وفندقا

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

احتفل لبنان الأحد بالذكرى الـ 77 للاستقلال. قبل ذلك احتفل في مطلع أيلول - سبتمبر الماضي بذكرى مرور مئة سنة على إعلان دولة لبنان الكبير، أي لبنان بحدوده الحالية. في السنة 2020، يشبه لبنان كل شيء باستثناء لبنان بعدما صار في النادي الإيراني.

من يحتاج إلى دليل على ذلك، يستطيع الاستماع إلى الخطاب الذي ألقاه رئيس الجمهورية ميشال عون في مناسبة ذكرى الاستقلال. لا يصلح الخطاب لأن يكون أكثر من موضوع إنشائي لطالب في نهاية دراسته الابتدائية، اللهم إلا إذا استغنيا الإشارة الواضحة التي ارتدت شكل انتقاد للدول العربية التي وقعت أخيرا اتفاقات مع إسرائيل. هذه الدول هي دولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين والسودان. ما دخل لبنان في هذا الموضوع، اللهم إلا إذا كان ذلك مطلوبا منه إيرانيا عبر "حزب الله".

منذ متى يصدر عن لبنان كلام من هذا النوع يحمل دولا عربية معيئة خسارة الجولان والقدس؟ ليس سرا من وراء احتلال الجولان وليس سرا لماذا راحت القدس.

جاء خطاب رئيس الجمهورية ليؤكد أن لبنان لم يعد لبنان. كان تركيزه على الفساد. لا إشارة من بعيد أو قريب إلى السلاح المذهبي غير الشرعي لـ "حزب الله". أن تكون في لبنان ميليشيا مذهبية توجه سلاحها إلى صدور اللبنانيين الآخرين وتفرض عليهم ما تريد أمر أكثر من طبيعي لرئيس الجمهورية. أكثر من ذلك، سمح لهذه الميليشيا، التي ليست سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، التدخل في كل مكان في المنطقة من دون حسيب أو رقيب ومن دون أن يكون هناك رأي للبنان في ذلك. عندما تتدخل ميليشيا "حزب الله" في الحرب التي يخوضها النظام الأقلوي في دمشق على شعبه بأكثرية الساحق لا يعود جائزا السؤال هل لبنان مستقل أم لا؟

استطاعت إيران أن تجعل الحدود بين لبنان وسوريا مهزلة. هذا ما يتجاهله رئيس الجمهورية الذي يريد مكافحة الفساد. من يريد بالفعل مكافحة الفساد ومنظومة الفساد لا يوقف التعيينات القضائية الصادرة عن مجلس القضاء الأعلى. من يريد بالفعل مكافحة الفساد يفتح ملف الكهرياء التي يتولاها "التيار الوطني الحر" منذ أحد عشر عاما. لماذا الكهرياء المقطوعة منذ كل هذه

السنوات؟ لماذا كل هذا الهدر، بالمليارات من الدولارات، في ملف الكهرياء في عهد وزراء "التيار الوطني الحر" الذي يقف على رأسه صهر رئيس الجمهورية جبران باسيل؟ الأكد أن الإجابة عن مثل هذا النوع من الأسئلة من الأمور غير المستحبة، مثلما من غير المستحب الاعتراف بأن المسألة ليست مسألة تحقيق جنائي في مصرف لبنان فقط. يتجاهل رئيس الجمهورية أن عهده هو "عهد حزب الله" وأن المعاملة المعمول بها في هذا العهد هي معاملة السلاح يحمي الفساد. من يفض الطرف عن سلاح "حزب الله" يفض الطرف عن الفساد الحقيقي لا أكثر ولا أقل. الثابت أن مصرف لبنان يتحمل مسؤولية ما في الكارثة التي حلت بلبنان، كذلك هناك مسؤولية تقع على أصحاب المصارف، ولكن من اتبع سياسة تصب في ضرب النظام المصرفي اللبناني؟ من يتحمل المسؤولية الأكبر في ذلك كله هو "عهد حزب الله" الذي لا يؤمن بأي من الثوابت التي قام عليها لبنان منذ ما قبل الاستقلال.

يكشف موضوع الإنشاء الذي القاه رئيس الجمهورية في مناسبة الذكرى الـ 77 للاستقلال حجم الكارثة اللبنانية. لا إشارة على الإطلاق إلى شهداء "ثورة الأرز" المعروف تماما من وراء اغتيالهم، لا إشارة إلى رفيق الحريري وباسل فليحان ورفاقهما ولا إلى سمير قصير وجورج حاوي وجبران تويني ووليد عبدو وانطوان غانم وبيار أمين الجميل ووسام عيد ووسام الحسن وفرنساو الحاج... وصولا إلى محمد شطح. سقطت أسماء كل هؤلاء سهوا مع أسماء الشهداء الأحياء الثلاثة مروان حمادة ومي شدياق وإلياس المر. هناك بكل بساطة عهد يعيش في عالم آخر. لا يستطيع عهد مثل هذا العهد الاعتراف بأن لبنان انتهى على يده وليس على يد أحد آخر.

لبنان الذي انتهى هو لبنان العربي المنفتح على كل دول المنطقة. في مقدمها دول الخليج. في النهاية ما هو لبنان الذي استطاع أن يكون في مرحلة معيئة المكان المفضل عربيا؟ لبنان كان جامعة ومدرسة ومستشفى ومصرفا وفندقا